اريد الكناسة قلت وما تصنع بها قال انظر الى الابل كيف خلقت تنبيه
الابل اسم جمع واحده بعير وناقة وجمل ولا واحد لها من لفظها وقال ك
المبرد الابل هنا القطع العظيمة من السحاب قال الثعلبي ولم اجد له لك
اصلا في كتب الائمة وقال الماوردي وفي الابل وجهان اظهرهما انها
الابل والثاني انها السحاب فان كان المراد بها السحاب فلما فيها من
الايات والدلالات الدالة على قدرته والمنافع العامة لجميع خلقه
وان كان المراد بها الابل فلان الابل اجمع للمنافع من سائر الحيوانات
لان ضروب الحيوان اربعة حلوبة وركوبة واكولة وحمولة والابل
تجمع هذه الخلال الاربع فكانت النعمة بها اعم وظهور القدرة فيها
اتم وقيل للحسن الفيل اعظم في الاعجوبة فقال العرب بعيدة العهد
بالفيل ثم هو لا يؤكل لحمه ولا يركب ظهره ولا يحلب دره والى السما
التي هي من جملة مخلوقاتنا كيف رفعت اي رفعا بعيدا بلا امساك
وبغير عمد على ما هي عليه من السعة والكبر والثقل والاحكام وما فيها
من الكواكب والغرائب والعجائب والى الجبال اي الشامخة وهي اوتاد
الارض كيف نصبت نصبا ثابتا فهي راسية لا تميل ولا تزول
كما قال تعالى وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بكم والى الارض اي
على سعتها كيف سطحت سطحا بتمهيد وتوطية فهي مهاد للتقلب عليها
واستدل بعضهم على ذلك بذلك على ان الارض ليست بكرة قال الرازي ي
وهو ضعيف لان الكرة اذا كانت في غاية العظمة تكون كل قطعة منها كالسطح
فان قيل كيف حسن ذكر الابل مع السما والجبال والارض ولا مناسبة
اجيب بان من فسرها بالسحاب فالمناسبة ظاهرة وذلك على
طريق التشبيه والمجاز ومن فسرها بالابل فالمناسبة بينها وبين
السما والارض والجبال من وجهين احدهما ان القران نزل على العرب

وكانوا

١٨

وكانوا يسافرون كثيرا او يسيرون على الابل في اوديتهم وبواديهم مستوحشين
ومنفردين عن الناس والانسان اذا انفرد اقبل على التفكر في
الاشيا لانه ليس معه من يحادثه وليس هناك من يشغل به سمعه
وبصره فلا بد من ان يجعل دابه التفكر فاذا تفكر في تلك الحال فاول
ما يقع بصره على البعير الذي هو راكبه يرى منظرا عجيبا وان نظر
الى فوق لم ير غير السما وان نظر يمينا وشمالا لم ير غير الجبال وان
نظر الى تحته لم ير غير الارض فكانه تعالى امره بالنظر وقت الخلوة
والانفراد حتى لا تحمله داعية الكبر والحسد على ترك النظر الثاني ان
جميع المخلوقات دال على الصانع جلت قدرته الا انها قسمان منها ما
للشهوة فيه حظ كالوجه الحسن والبساتين الزاهرة والذهب والفضة
فهذه مع دلالتها على الصانع قد يمنع استحسانها عن كمال النظر ومنها ما لا
لا حظ فيه للشهوة كهذه الاشيا فامر بالنظر فيها اذ لا مانع من كمال
النظر فيها وروى عطا عن ابن عباس انه كان الله تعالى يقول هل يقدر
احد ان يخلق مثل الابل او يرفع مثل السما او ينصب مثل الجبال
او يسطح مثل الارض غيري ولما بين تعالى الدلائل على صحة التوحيد
والمعاد قال سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم فذكر اي بنعم الله تعالى
ودلائل توحيده وعظهم بذلك وخوفهم بما اشرف الخلق انما انت مذكر
فلا عليك ان لا ينظروا ولم يذكروا وما عليك الا البلاغ كما قال تعالى ان عليك
الا البلاغ لست عليهم بمسيطر اي بمسلط فتقتلهم وتكرههم على الايمان كقوله
تعالى وما انت عليهم بجبار وهذا قبل الامر بالجهاد وقرا هشام بالسين
وقرا حمزة بخلاف عن خلف باشمام الصاد كالزاي والباقون بالصاد خالصة
وقوله تعالى الا من تولى استثنا منقطع اي لكن من تولى عن الايمان وكفر اي
بالقران فيعذبه الله اي الذي له الكمال كله بسبب تكبره على الحق ومخالفته

Copyright © King Saud University